

التيارات السلفية وخيارات المستقبل

أ. أحمد فهمي

(باحث سياسي)

ملخص البحث

تعاني التيارات السلفية في الوقت الحالي من حصار مزدوج، بعدما صارت هدفاً للعالم الغربي، وفي الوقت نفسه تواجه قيوداً من داخلها تتمثل في الخلافات البينية المتفاقمة، وحالات التشظي والانقسام، وعجزها عن تشكيل جبهة موحدة في مواجهة الهجمات الخارجية.

عمل الغرب على تحويل التيارات السلفية إلى عدو يحظى بأولوية المواجهة، خاصة أنه يعتبرها المزود البشري للحركات الجهادية، وهو التصور النابع من افتقاد التحليلات الأمريكية للمعايير الدقيقة التي تمكنها من التفريق بين مختلف التيارات، بجانب دور الشيعة والطرق الصوفية في ترسيخ العلاقة الوهمية بين التيارات السلفية والجهادية أو تنظيم القاعدة تحديداً.

كما يعتبر الغرب أن الشمولية الدينية ومستوى الثبات الذي تُبديه التيارات السلفية في التمسك بأصول الدين هو مصدر خطر بالنسبة للرؤية الغربية؛ نظراً لصعوبة احتواء هذه التيارات كمنهج، وأيضاً صعوبة اندماجها في فئات أو شرائح تحمل أفكاراً مخالفة لمبادئ الإسلام، إضافة إلى ذلك فإن قابلية التيارات السلفية العالية للتواصل مع الجماهير والرواج الكبير الذي يحظى به الدعاة السلفيون في الفترة الحالية في المجتمعات الإسلامية كان أحد أسباب الاستهداف الغربي.

من ناحية أخرى، فإن جزءاً كبيراً من طاقة العمل لدى طائفة من التيارات السلفية ينصرف في التعامل مع الإشكالات الداخلية، والخلافات البينية. ما يمثل قيداً داخلياً يعوقها عن ممارسة دورها المنوط بها في الأمة.

وإذا كانت السلفية في بداياتها الأولى في التاريخ المعاصر حركات تغييرية إصلاحية، تهدف إلى الرجوع بالمجتمع إلى الإسلام الحنيف، من خلال عمل علمي ودعوي جديدين وشاملين، فإن العودة بهذه التيارات السلفية إلى ماضيها الأول هي عودة إلى الأصول، والسلفية الدعوية ممثلة في بعض فصائلها تسير على ذات النهج لتصل القديم بجديده، وإن المخالفين لها مطالبون بالدليل على انحرافهم عن نهج مؤسسي التيارات السلفية الأوائل.

ولكن هذا لا يمنع من وجود جوانب من الخلل في أداء جماعات السلفية الدعوية، تحتاج إلى تغيير أو تجديد، بما يتناسب مع مستجدات الواقع، وأهمها تقوية البنائين الفكري والتنظيمي، والبحث عن أطر عملية تجمع التجمعات السلفية الدعوية في سياق واحد ومتقارب.



أفكار و مقتطفات

- التيارات السلفية تتفق من حيث ظروف نشأتها، ومن حيث التناقض الغريب بين انتشارها الواسع جغرافياً، وضعف تماسكها التنظيمي، فالسلفيون موجودون تقريباً في كل دولة وكل مدينة، إلا أن أتباعهم مع ذلك قليلو العدد نسبياً مشنتون مقارنة بالجماعات الإسلامية السياسية، ولا تشذ عن هذه القاعدة إلا دولة أو دولتان تتمتع فيهما التيارات السلفية بالأغلبية وسط العمل الإسلامي، وبشيء من التماسك والقوة.
- يستخدم الغربيون عادة منهجاً إسقاطياً في التعامل مع القوى الممثلة للإسلام، وقبل عدة قرون عندما كان الخطر الإسلامي متمثلاً في العثمانيين الأتراك يدق أبواب أوروبا الغربية، كانت مبادئ الإسلام وأصوله ومصادره وتعاليمه تُذكر في سياق عنصري منسوبة إلى الأتراك.
- يرجع الخلط بين السلفية العلمية أو الدعوية وبين التيارات الجهادية إلى افتراض مسبق بأن التيار الجهادي هو مرحلة متطورة للتيارات السلفية، وبالتالي تصبح كل جماعة سلفية مشروعاً جهادياً محتملاً إذا توفرت الظروف الملائمة، وحتى قبل أن تتوفر الظروف فإن التيارات السلفية في التحليل الأمريكي تقدم دعماً بشرياً غير محدود للتيارات الجهادية.
- القول بأن أتباع الجماعات السلفية يشكلون داعماً بشرياً أساسياً لجماعات الجهاد، هو ادعاء غير صحيح، بل إن الواقع الإحصائي يقدم لنا إثباتاً غاية في الأهمية، إذ بينما يتعلق الادعاء بحدوث انتقالات فردية بين الجماعات السلفية والجماعات الجهادية، فإن هناك حالات متكررة تنتقل فيها جماعات جهادية بأسرها إلى صف التيارات السلفية، كما هو الحال مع جماعتي الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر.
- هناك فئات أخرى بخلاف المحللين الغربيين يعملون على ترسيخ هذه العلاقة الوهمية بين التيارات السلفية والجهادية، أو تنظيم القاعدة على وجه التحديد، وهم: الشيعة، والطرق الصوفية.
- استطاعت الدعوة السلفية أن تخرق حتى أكثر الدول العربية تطرفاً في علمانياتها- تونس-، وبرز ما أصبح يعرف في تعبير بعض الإسلاميين بـ «الظاهرة السلفية الجديدة»، وهو ما دفع بأحد قياديي حركة النهضة -محمد بن سالم- إلى مهاجمة هذا النجاح السلفي، فاعتبر أنه تنامي بسبب «إغلاق المساجد أمام الدعاة الحقيقيين وأمام المشايخ الحقيقيين».
- ينصرف جزء كبير من طاقة العمل لدى طائفة من التيارات السلفية في التعامل مع الإشكالات الداخلية، والخلافات البينية، وفي بعض الحالات تتفرغ جماعات بأسرها لمهاجمة وانتقاد جماعات سلفية أخرى.
- في قضية الانتماء ظلت التيارات السلفية ردةً من الزمن تتميز بسهولة الانتماء إليها، لا توجد إجراءات أو ترتيبات، فقط المطلوب هو الالتزام بالكتاب والسنة وتعظيم الأوامر والنواهي، وبخلاف بعض الأوامر الشرعية، فإن أغلب التزام المرء يكون بينه وبين ربه، هكذا يصير المرء سلفياً.



- كثير من التيارات السلفية سلكت نهجاً تغييرياً متطوراً؛ سعياً لبذل جهد أكبر في إصلاح المجتمعات التي تنتمي إليها، ولكن تعاني كثير منها مما يمكن تسميته «انعكاسات النشأة السلفية»، ويُقصد بها بعض الصفات والسمات التي تعوق عملية التطور داخل التيار السلفي، وتجعل من عملية التجديد مخاطرة غير مأمونة العواقب.
- لا شك أن العناية الفائقة من قبل التيارات السلفية بالعلوم الشرعية تدريسياً وتعليمياً وتأليفاً عقوداً طويلة أفرزت علماء ومتخصصين في الدراسات الشرعية، لكن كان المتوقع أن تُخرج هذه النشاطات العلمية المكثفة أجيالاً من العلماء - القادة - المؤهلين لقيادة الأمة وتوجيهها، ولكن بدلاً من ذلك أصبحت التيارات السلفية في كثير من الدول الإسلامية تعاني هي نفسها من أزمة مرجعية علمية، ويفتقد كثير منها إلى علماء بارزين يقودون الحركة أو التيار ويشرفون على عملية التعلم والتعليم بداخله.
- قضية تكفير الأنظمة في الدول العلمانية، مسألة خلافية داخل التيارات السلفية، إلا أنها تأخذ في مناحي الخلاف أكبر من حجمها الطبيعي؛ إذ تتفق أغلب التيارات السلفية على التعاطي مع الدولة وأجهزتها من الناحية العملية في العموم، حتى من قبل من يكفرونها.
- لم تكن السلفية في بداياتها الأولى في التاريخ المعاصر، سلفية ساكنة، أو مجرد حركة علمية تتركز في المساجد، وينحصر جل نشاطها في الدروس والخطب، بل كانت حركات تغييرية إصلاحية تهدف إلى الرجوع بالمجتمع إلى الإسلام الحنيف من خلال عمل علمي ودعوي جديين وشاملين، لذا فإن العودة بهذه التيارات السلفية إلى ماضيها الأول هي عودة إلى الأصول.
- إن تاريخ السلفية القديم مشرف، ويحمل قدراً كبيراً من الإنجازات على مستوى الأمة الإسلامية، والذي نعتقده أن السلفية الدعوية ممثلة في بعض فصائلها تسير على ذات النهج لتصل القديم بجديده، وإن المخالفين لها مطالبون بالدليل على انحرافهم عن نهج مؤسسي التيارات السلفية الأوائل.
- تحمل التيارات السلفية والإسلامية عموماً في الدول العلمانية حلم إقامة الدولة الإسلامية، إلا أن التجارب الماضية تكشف عن كون هذا الحلم أو الهدف عسير المنال، ويحتاج إلى مراحل متتالية من الجهد والعمل المتواصل؛ ولأن الهدف هو المعيار الأول لقياس أداء الجماعة والتيار، فإن التمسك به في الفترة الحالية لن يسفر إلا عن مزيد من الإحباط والتخبط، لذا فمن المقترح أن يرفع في هذه المرحلة هدف آخر، هو: أسلمة المجتمع، أي السعي لإعادة جميع جوانب الحياة والأنشطة الاجتماعية إلى جادة الإسلام.
- تحتاج السلفية الدعوية إلى إعادة تطوير وتجديد، بما يتناسب مع مستجدات الواقع، وهذا لن يتأتى إلا بقدرة الحركة على استيعاب الطاقات الفكرية بداخلها، والسماح بقدر من تبادل الآراء والنقاش حول القضايا المحورية، والحذر من تقديس وتكديس المتغيرات والأشخاص وتحويلها إلى ثوابت راسخة.

التيارات السلفية وخيارات المستقبل

أ. أحمد فهمي : باحث سياسي

مقدمة:

تتفق التيارات السلفية في مختلف الدول الإسلامية على سمات عامة أساسية، تجعلها صالحة لتكون موضوعاً بحثياً بنفس القدر من العمومية.

هناك تشابه كبير بين مختلف التيارات السلفية من الناحيتين العلمية والعملية، فعلى الجانب العلمي، تتفق هذه التيارات على مصادر التلقي من الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، كما تتفق في الإطار العام للمنهج السلفي، سواء في جانبه العقدي أو الفقهي أو الدعوي.

ومن الناحية العملية فإن التيارات السلفية تتفق من حيث ظروف نشأتها، ومن حيث التناقض الغريب بين انتشارها الواسع جغرافياً، وضعف تماسكها التنظيمي، فالسلفيون موجودون تقريباً في كل دولة وكل مدينة، إلا أن أتباعهم مع ذلك قليلو العدد نسبياً مشنتون مقارنة بالجماعات الإسلامية السياسية، ولا تشذ عن هذه القاعدة إلا دولة أو دولتان تتمتع فيهما التيارات السلفية بالأغلبية وسط العمل الإسلامي، وبشيء من التماسك والقوة.

كذلك تتفق التيارات السلفية في توصيف المخالفين، وفي محاربتها للبدع والفرق الضالة، كما تتشابه في مواجهتها لذات التحديات والإشكالات الداخلية والخارجية، وهو ما يجعل تناول هذه التحديات، بصفة عامة، مع إسقاط نتائج البحث على غالبية هذه التيارات أمراً مقبولاً من الناحية العلمية، مع الإقرار بوجود بعض التفاوت الناجم عن خصوصية التجربة في كل بلد على حدة.

الأنماط الثلاثة:

التيارات السلفية من حيث المنشأ يمكن تقسيمها إلى عدة مدارس، أبرزها: مدرسة الشام، ومدرسة المغرب العربي، ومدرسة الدعوة في الجزيرة العربية، التي يركز خصومها على تخصيصها بمسمى الوهابية.

والأخيرة هي أبرزها وأكثرها انتشاراً وتأثيراً؛ بحيث إن وصف «الوهابية» أصبح يُستخدم على نطاق واسع لتوصيف التيارات السلفية، وقد اتسع نطاق هذا الاستخدام مؤخراً لأهداف معروفة.

وفي العقود الأخيرة بدأت التيارات السلفية تنقسم بدورها وفق معايير أخرى، وبحسب اختلاف النظر إلى المجتمع وتكوين رؤى مختلفة للإصلاح والتغيير، ويمكن أن نلاحظ في هذا الصدد ثلاثة أنماط من التيارات

السلفية: السلفية العلمية- السلفية الدعوية- السلفية الجهادية.

السلفية العلمية تتبنى خيار نشر العلم الشرعي، ومحاربة البدع، وتنقية الإسلام من الشوائب، أما السلفية الدعوية^(١) فهي تزيد على ذلك تبني منهج دعوي تغييري، يسعى إلى إصلاح المجتمع، والعودة به إلى حياض الإسلام، وتتبع في ذلك أساليب ووسائل مختلفة من بينها: التربية، والعمل الجماعي، وقد يصل الأمر ببعضها إلى تكوين أحزاب سياسية، والمشاركة في الانتخابات النيابية مثل السلفية في الكويت والبحرين.

أما السلفية الجهادية، فلم يطلق عليها هذا الاسم إلا في الأعوام الأخيرة، فهي رغم منشأها السلفي إلا أنها تتبنى منهجاً مختلفاً في الإصلاح والتغيير، يختلف عن بقية التيارات السلفية، لذلك ظل التقسيم المنهجي لفصائل العمل الإسلامي في أغلب الدراسات متمثلاً في ثلاثة أقسام: السلفية - السياسية - الجهادية.

ويرجع السبب في تعميم هذا المصطلح «السلفية الجهادية» إلى الرغبة في خلط الفروق بين التيارين، وتحميل المسؤولية عن أعمال الجهاديين إلى عموم السلفيين، ومن ثم توحد التصنيف وأساليب المواجهة.

وسوف نقتصر في هذا البحث على النمطين الأولين من التيارات السلفية.

التيارات السلفية بين قيدين:

تعاني التيارات السلفية في الوقت الحالي من حصار مزدوج، إذ قذفت بها تطورات الأحداث منذ العام ٢٠١٠م إلى الواجهة، فصارت هدفاً معتبراً، سواء من قبل العالم الغربي أو من بعض الطوائف داخل العالم الإسلامي، في نفس الوقت تواجه التيارات السلفية قيوداً من داخلها تتمثل في الخلافات البينية المتفاقمة، وحالات التشطي والانعساق والانفصال المتواصلة، وعجز التيارات السلفية في عمومها عن تشكيل جبهة موحدة في مواجهة الهجمات الخارجية التي تتعرض لها.

(١) يعتمد بعض الباحثين تعريفات مغايرة نسبياً لأنماط السلفية، ولكن هذا هو التعريف المعتمد في هذه الدراسة.

وباختصار فإن خيارات السلفيين في المرحلة المقبلة تتحدد حسب قدرتهم على التعامل مع هذين القيدين الداخلي والخارجي، وبقدر ما تتمكن هذه التيارات من تحرير نفسها من القيود، بقدر ما تحفظ وجودها أولاً، ثم تحقق أهدافها ثانياً.

القيود الأول - الخارجي:

يذكر مستشار الأمن القومي السابق زبجنيو بريجنسكي، والذي يعد حالياً من المنظرين البارزين للحقبة الأمريكية العالمية، أن الرئيس الأمريكي أعلن أن «رسالة أمريكا التاريخية ورسالته، هي حفر تحول لا يقل عن تغيير ثقافة العالم الإسلامي وسياسته»^(٢).

يستخدم الغربيون عادة منهجاً إسقاطياً في التعامل مع القوى الممثلة للإسلام، وقبل عدة قرون عندما كان الخطر الإسلامي، متمثلاً في العثمانيين الأتراك، يدق أبواب أوروبا الغربية، كانت مبادئ الإسلام وأصوله ومصادره وتعاليمه تذكر في سياق عنصري منسوبة إلى الأتراك، فأولى ترجمات القرآن إلى اللغة الألمانية أسماها المترجم «قرآن الأتراك: دين وخرافات»، أما الترجمة الثانية، فقد أسماها مترجمها «كتاب الأحكام التركي الكامل أو قرآن محمد»، وعندما استخدم الشاعر والفيلسوف الألماني المعروف ترجمة للقرآن في أعماله الشعرية، كان عنوان الترجمة «كتاب الأتراك المقدس»^(٣).

الآن تم استبدال الأتراك بالوهابية والسلفية، وصارت مفاهيم الإسلام وأصوله تذكر منسوبة إليهما، وتركزت الانعكاسات المعاصرة للذاكرة الجمعية الغربية بخصوص الإسلام في هذه التيارات تحديداً، فصارت الوهابية مرادف للفاشية والنازية والإرهاب.

لم يتوقف المنهج الإسقاطي عند حدود التيارات السلفية، بل تمدد ليشمل بُعداً مكانياً اعتبر هو مصدر الخطر الوهابي تحديداً، أي: السعودية.

(٢) زبجنيو بريجنسكي، كتاب: الفرصة الثانية .. ثلاثة رؤساء وأزمة القوة العظمى الأمريكية، ص ٩.

(٣) مراد هوفمان، كتاب الإسلام في الألفية الثالثة، ديانة في صعود.

وحمل الغلاف صورة امرأة مسلمة حواجبها على شكل سيوف تتوسط شعار عَلم السعودية.^(٥)

ونشرت مجلة Bunte الألمانية أيضًا موضوعًا عام ١٩٩٨م تساءل فيه كاتبه «هل انتقل الخطر الآن من موسكو إلى مكة؟».^(٦)

ويمكن ملاحظة ثلاثة أسباب رئيسة تفسر التركيز الغربي على التيارات السلفية، وتحويلها إلى عدو يحظى بأولوية المواجهة.

أولاً: تصنيف التيارات السلفية بأنها مزوّد بشري للحركات الجهادية:

تعاني التحليلات الأمريكية للتيارات الإسلامية عمومًا من الافتقار للمعايير الدقيقة التي يمكن بها التفريق بين مختلف التيارات، ولذلك يحدث خلط واضح - قد يكون مقصودًا في بعض الأحيان - في التقويم، ومن ثم اقتراح وسائل التعامل.

نشر معهد السلام الدولي في واشنطن دراسة تحت عنوان «السياسة الخارجية الأمريكية والتجديد الإسلامي» أعدها الدكتور عبد السلام مغراوي مدير مبادرة العالم الإسلامي في المعهد، حيث قال: «نجد تعريفات خاطئة بواشنطن لمصطلحات مثل «سلفي» و«جهادي» أو «متطرف»؛ حيث إن السياسة الأمريكية تنتظر إلى غالبية التيارات الإسلامية من خلال عدسة التدين الراديكالي، دون اعتبار التفاوت الشاسع بين مبادئ وأهداف التنظيمات الإسلامية المختلفة، ودون تقدير الميول الإصلاحية المعتدلة التي تتبناها العديد من هذه التنظيمات في نفس الوقت».^(٧)

هذا الخلط يتم استغلاله لتمرير تفسيرات ورؤى

نشر كورتين وينزر المبعوث الخاص إلى الشرق الأوسط، من قبل الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان، دراسة تحليلية العام الماضي تحت عنوان «السعودية والوهابية وانتشار الفاشية»^(٨)، وبذل وينزر جهدًا كبيرًا في وصل الخطوط بين الإرهاب والوهابية والسعودية، فحذر من جهود نشر الوهابية في عدد من بلدان جنوب شرق آسيا، وإفريقيا والدول الغربية من خلال بناء المساجد والمدارس الدينية والمشروعات الخيرية، واستقطاب الشباب العاطل والمهاجرين في هذه البلدان، وتقول هذه الدراسة: إن خريجي المدارس الوهابية كانوا وراء الأعمال «الإرهابية» مثل تفجيرات لندن في يوليو ٢٠٠٥م، واغتيال الفنان تيودور فان جوخ الهولندي عام ٢٠٠٤م.

ونسب وينزر إلى أحد المتخصصين «اليكسي اليكسيف» ادعاءه أثناء جلسة الاستماع أمام لجنة العدل التابعة لمجلس الشيوخ في ٢٦ يونيو ٢٠٠٣م، بأن «السعودية أنفقت ٨٧ مليار دولار خلال العقدين الماضيين لنشر الوهابية في العالم»، وأنه يعتقد أن مستوى التمويل قد ارتفع في العامين الماضيين نظرًا لارتفاع أسعار النفط، ثم يستخدم وينزر منهج المقارنة لبيان مستوى الخطر «الوهابي» فيقول: إن ما أنفقه الحزب الشيوعي السوفييتي لنشر أيديولوجيته في العالم بين ١٩٢١ و١٩٩١م لم يتجاوز الـ ٧ مليارات دولار، وإذا كانت الشيوعية قد بلغت هذا المستوى من الانتشار في العالم بمبلغ كهذا، فإن إنفاق السعودية ٨٧ مليار دولار - لو صح - لكان كفيلاً بجعل العالم كله وهابيًا!

في أوروبا لم يختلف الوضع، فقد استخدمت إسقاطات تربط بين الوهابية والسعودية والإسلام بطريقة فجّة، على سبيل المثال نشرت مجلة دير شبيجل الألمانية البارزة عام ١٩٩٨م ملحقًا خاصًا تحت عنوان «الإسلام للغز»^(٩)

تعاني التحليلات الأمريكية للتيارات الإسلامية عمومًا من افتقار للمعايير الدقيقة التي يمكن بها التفريق بين مختلف التيارات.

(٥) مراد هوفمان .. مرجع سابق ص ١٠٧.

(٦) السابق ص ٩٨.

(٧) مقال: هل تدعم أمريكا تجديد الإسلام؟ هشام سلام، موقع بلاغ، وانظر موقع صحيفة المؤتمر العراقية ٢٩/٧/٢٠٠٧م.

(٨) مراد هوفمان، كتاب: الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود، ص ٩٠ مقال: السعودية والوهابية وانتشار الفاشية، موقع الحرية http://

www.alhuriya.net، وقد نشرت الدراسة في دورية ميدل إيست مونيتور MidEast Monitor عدد يونيو/يوليو ٢٠٠٧م.

معينة متعلقة بالتيارات السلفية، فنجد متخصصاً مثل وينزر يقول في دراسته السابقة: «إن التلاقح بين الوهابية المحافظة اجتماعياً وثقافياً بالقطبية «سيد قطب» السياسية الراديكالية أنتج الإسلام السياسي الوهابي، الذي بدوره أنتج تنظيم القاعدة»^(٨) وهكذا، وانطلاقاً من هذا المنهج المغلوط تم الوصل بجرة قلم بين ثلاثة تيارات إسلامية دفعة واحدة.

يرجع الخلط بين السلفية العلمية أو الدعوية وبين التيارات الجهادية إلى افتراض مسبق بأن التيار الجهادي هو مرحلة متطورة للتيارات السلفية، وبالتالي تصبح كل جماعة سلفية مشروعاً جهادياً محتملاً إذا توفرت الظروف الملائمة، وحتى قبل أن تتوفر الظروف فإن التيارات السلفية في التحليل الأمريكي تقدم دعماً بشرياً غير محدود للتيارات الجهادية.

هذه الإشكالية تحتاج إلى إعادة تفكيك وبناء من جديد، فعلى الرغم من أن الأنماط الثلاثة للتيارات الجهادية تبدو وكأنها مراحل متدرجة من الأسفل إلى الأعلى، أو من حيث مستوى الحراك داخل المجتمع، إلا أن ذلك لا يعني أبداً أن كلاً من النمطين الأخيرين نتج عن تحول وتغير في النمط الذي قبله.

قد يصح ذلك في مرحلة أولية من النشأة، وفي نطاق فردي لا جماعي، ولكن بعد مرور مدة زمنية قصيرة يصبح لكل تيار روافده المباشرة من المجتمع، ولا يحتاج إلى الاعتماد المباشر على التيارات الأخرى.

ويؤكد هذا التحليل أن العلاقات البينية بين الأنماط الثلاثة من التيارات السلفية ليست إيجابية بإطلاق، بل تحمل كمّاً هائلاً من التشاحن والانتقادات التي تصل إلى حد التبذير.

أيضاً لو اعتمدنا التصنيف الأمني للتيارات السلفية

في بعض الدول العربية ذات التوجه العلماني مثل مصر على سبيل المثال، سنجد أن الأجهزة الأمنية لا تتعامل مع التيارات السلفية بوصفها سلفية جهادية، أو منبعاً للسلفية الجهادية، بل تفرق بينهما تماماً في المنشأ والفكر والأتباع، نعم قد تحدث تحولات فردية في بعض التجمعات، ولكن لم تتعرض الجماعات السلفية يوماً لمواجهة أمنية؛ لأنها تحولت إلى السلفية الجهادية، وحتى في مطلع التسعينيات عندما احتدمت المواجهات بين السلطات والجماعة الإسلامية، وطالت الاعتقالات أعداداً كبيرة من السلفيين، كان ذلك بسبب اتباع أجهزة الأمن منهجاً حصرياً في التعامل مع كل من يتصل بعناصر الجماعة الإسلامية، وليس بالضرورة أنه صار منتبهاً إليهم.

فضلاً عن أن الجماعات السلفية نفسها؛ نتيجة الضغوط وتصاعد ردود الأفعال، طوّرت بصورة تلقائية بنية علمية فكرية خاصة، تعالج قضية التحولات بين السلفية والجهادية؛ بحيث تدعم ثبات أتباعها في إطارها العلمي والعملية، وبرزت السلفية الدعوية على وجه الخصوص في هذا الجانب.

ومع اتساع تأثير الإنترنت وتميز الجماعات الجهادية في هذا المجال، فقد اتسعت بصورة ملحوظة نطاق الشرائح المجتمعية التي يوجّه الجهاديون خطابهم إليها من أجل جذب المزيد من الأتباع، ولا شك أن الشخص غير المنطلق من خلفيات أو جماعات سابقة -سلفية أو غيرها- سيكون أسهل في التعامل معه وتطويره وترقيته.

غاية الكلام أن القول بأن أتباع الجماعات السلفية يشكلون داعماً بشرياً أساسياً لجماعات الجهاد، هو ادعاء غير صحيح، بل إن الواقع الإحصائي يقدم لنا إثباتاً غاية في الأهمية؛ إذ بينما يتعلق الادعاء بحدوث انتقالات فردية بين الجماعات السلفية والجماعات الجهادية، فإن هناك حالات متكررة تنتقل فيها جماعات جهادية بأسرها إلى

مع اتساع تأثير الإنترنت وتميز الجماعات الجهادية في هذا المجال، فقد اتسعت بصورة ملحوظة نطاق الشرائح المجتمعية التي يوجه الجهاديون خطابهم إليها من أجل جذب المزيد من الأتباع.

(٨) مقال: السعودية والوهابية وانتشار الفاشية. سابق..

العشرينيات من القرن الماضي، قاموا بتدمير الأضرحة مثل مقبرة جنات البقيع التي دُمِّرت في عام ١٩٢٥م، وكانت تحوي رفات أربعة من أئمة الشيعة الاثني عشرية»^(١٠).

ويقول كاتب عراقي شيعي عازفًا نفس اللحن: «فما الفرق بين غزوة السلفية الوهابية على الولايات المتحدة، والتي سموها بغزوة مناهات، وكان المنفذون جلهم من السعوديين الوهابيين المنتمين لتنظيم القاعدة، والتي راح ضحيتها آلاف من الأبرياء، وبين غزوة البقيع التي قادها الوهابيون السعوديون، ودمروا خلالها كل القبور، وخاصة قبور أئمة الشيعة الأربعة»^(١١).

أما الصوفية فيكفي أن كثيرًا منهم كانوا صفاً واحداً مع الاستعمار، ويثبت الأكاديمي البارز إرنست غيلنر هذه الحقيقة في المغرب العربي، فيقول: «وجد الأولياء» الصوفية» أنفسهم عمومًا في جانب الفرنسيين.. والتفسير المقدم هو أن الوطنيين كانوا قد شكّلوا الحركة الإصلاحية السلفية، بينما دعم الفرنسيون المتصوفة والأولياء؛ إذ كانوا غالبًا يعملون عبرهم»^(١٢).

مما يؤسف له انضمام بعض الحركات الإسلامية السياسية المضطهدة إلى الجانب الغربي، والمشاركة في الهجمة الغربية على التيارات السلفية في سياق الربط بين السلفية والإرهاب، يحكي نوفل المعايي عن دكتور عبد المجيد النجار أحد قياديي حركة النهضة أنه: «فاجأ المراقبين بهجمته على التيار السلفي دون تحفظ.. ليقول عن هؤلاء الشباب السلفيين بأنهم يأخذون أفكارهم من خارج تونس، من الخليج ومن غير الخليج»، واتهم المعايي حركة النهضة بأنها «وجدت في الحرب العالمية ضد الإسلام -تحت عنوان محاربة الوهابية والسلفية والإرهاب...- فرصتها لركوب الموجة، وإقناع الحكومات الغربية باعتبارها وتميزها، وأهليتها لخوض الحرب بالنيابة، وأن تغييبها عن الساحة التونسية تسبب في انتشار

صف التيارات السلفية، كما هو الحال مع جماعتي الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر.

ولو اعتمدنا مقاربة تاريخية تبحث في نشأة التيارات الجهادية، سنكتشف حقائق مماثلة، فتيار الجهاد بدأ في مصر منبثقًا عن جماعة الإخوان المسلمين أثناء محنة الخمسينيات والستينيات، ولم تكن له علاقة بالسلفيين، وفي تونس، يقول نوفل المعايي الناشط السابق في حركة النهضة الإسلامية السياسية: «والمفارقة التونسية هي أنه لم تُسجل في تونس أبدًا حادثة عنف واحدة، أو كُشف تنظيم مسلح ذو توجه سلفي، في حين اتُهمت حركة النهضة مرارًا بممارسة العنف أو التخطيط لذلك، ولعل من أمثلة ذلك محاولة انقلاب ٨ نوفمبر ١٩٨٧م، التي نسبت إلى الجناح المسلح للحركة، وحادثة باب سويقة الشهيرة في تونس ربيع ١٩٩١م، التي كانت قاصمة الظهر، وتسببت في انقسام الحركة وخروج أعداد واسعة من صفوفها»^(٩).

هناك فئات أخرى بخلاف المحللين الغربيين يعملون على ترسيخ هذه العلاقة الوهمية بين التيارات السلفية والجهادية، أو تنظيم القاعدة على وجه التحديد، وهم: الشيعة، والطرق الصوفية.

إذ يبذل الناشطون في كلا الفريقين جهودًا جبارة للتسلل إلى جهات ومراكز صنع القرار والرأي العام في العالم الغربي، والتواصل معها؛ من أجل إبراز التيارات السلفية -الموصومة بالإرهاب- مقرونة بدولة محددة هي السعودية.

ونلاحظ في هذا السياق نوعًا من الغزل المباشر والصريح بين فئات من المحللين والباحثين الغربيين وبين مثقفي الشيعة، ونعرض شاهداً على ذلك؛ إذ كتب وينزر في دراسته: «قام محاربو الوهابية» السعودية» في عام ١٨٠١م بغزو ما يُعرف اليوم بالعراق؛ حيث اجتاحوا مدينة كربلاء المقدسة لدى الشيعة، ونهبوها وقتلوا ٤٠٠٠ من أبنائها. وبعد السيطرة على مكة والمدينة في

(١٠) مرجع سابق..

(١١) أسعد راشد، مقال: قبور البقيع المهدمة وصمة عار في جبين الوهابية، موقع شبكة النبأ، ٢٠٠٥/١١/١١م.

(١٢) إرنست غيلنر، كتاب: مجتمع مسلم، ص ٢٧٩.

(٩) نوفل المعايي كاتب تونسي، مقال: حركة النهضة التونسية: الهجمة على التيار السلفي، هل هي عرض لحرب بالوكالة؟ (٢/٢)، ٢٠٠٦/١/١٨م، مجلة العصر.

السلفية التي تفرع منها الحكومات الغربية»^(١٣). إن الحالة الوحيدة التي يمكن أن تتحول فيها حركات سلفية على نطاق واسع إلى ممارسة العمل الجهادي، هو وقوع البلد الذي تعيش فيه تحت نير الاحتلال، كما يحدث في العراق.

ثانياً: مستوى الثبات الذي تبديه في التمسك بأصول الدين مع الحفاظ على نقاء التلقي:

وهو ما يعبر عنه وينزر في دراسته بـ «الشمولية الدينية السنية»، وهو ينسب هذا المصطلح إلى جيمس وولسي المدير السابق للسي آي آيه في وصفه محاولات الحركات «الراديكالية» بسط سيطرتها على دقائق الأمور الحياتية للمسلمين^(١٤).

هذه الشمولية الدينية تمثل مصدر خطر بالنسبة للرؤية الغربية؛ لصعوبة احتوائها كمنهج -بخلاف الأفراد-، وصعوبة اندماجها في فئات أو شرائح تحمل أفكاراً مخالفة لمبادئ الإسلام أيضاً.

كما أن هذه الشمولية تسعى لوضع كل القضايا والمواقف والأشخاص تحت مجهر الشريعة الدقيق، وهذا لا يتناسب مع المصالح الأمريكية التي تحتاج إلى منهج فضفاض يسع كل شيء وكل شخص، ولعل التصريح الشهير للمفتي السوري الشيخ أحمد حسون يعطي تصوراً دقيقاً عن النمط الذي يتناسب مع الرؤية الغربية، حيث قال الشيخ في تصريح أثناء زيارته لألمانيا، ونشرته وسائل الإعلام هناك: «أنا مسلم في عقيدتي، عربي في لغتي، إنساني في عالمي، سني في اقتدائي، شيعي في ولائي، سلفي في جذوري، صوفي في حبي ونقائي»^(١٥).

ثالثاً: قابليتها العالية للتواصل مع الجماهير إذا توفر لها الخطاب المتجدد والوسائل الإعلامية:

الالتزام السلفي هو التزام فطري بالإسلام، أي مسلم في أي بقعة من الأرض عندما يقرأ القرآن وكتب التفسير، ويطلع على الأحاديث النبوية، ثم يبدأ في

اتباعها يتحول تلقائياً إلى المنهج السلفي.

بنفس البساطة يحظى الدعاة السلفيون، في الفترة الحالية، برواج كبير في المجتمعات الإسلامية، فقد تبين أن التزام الدعاة السلفيين بالسمت الإسلامي العام يقربهم من الجماهير، بخلاف ما كان متوقعاً، كانت الإشكالية في التواصل مع الجماهير ليست في عصرنة الزي أو المظهر العام، بل في عصرنة الأسلوب والخطاب والمنبر، وهذا ما حدث مع عدد من الدعاة السلفيين الذين استطاعوا كسر الحواجز والوصول إلى الجماهير بسهولة من خلال وسائل الإعلام، مكتسبين في نفس الوقت الثقة والاحترام الناتجين عن الالتزام بالسمت الإسلامي.

استطاعت الدعوة السلفية أن تخترق حتى أكثر الدول العربية تطرفاً في علمانياتها «تونس»، وبرز ما أصبح يُعرف في تعبير بعض الإسلاميين بـ «الظاهرة السلفية الجديدة»، وهو ما دفع بأحد قياديي حركة النهضة -محمد بن سالم- إلى مهاجمة هذا النجاح السلفي، فاعتبر أنه تنامي بسبب «إغلاق المساجد أمام الدعاة الحقيقيين وأمام المشايخ الحقيقيين»^(١٦).

والحال هكذا، يثور التساؤل حول مستوى الإدراك النخبوي والقاعدي لخطورة وأبعاد الاستهداف الغربي.

في هذا المجال يمكن التمييز بين ثلاثة مستويات من الإدراك:

- الإدراك العام لوجود الخطر من خلال تداول معلومات عامة مدعمة بنصوص الكتاب والسنة.

- الإدراك الواسع لتفصيلات المخططات والاستراتيجيات الغربية في مواجهة المد السلفي.

- الإدراك العملي للمخططات الغربية، والمتمثل في اتخاذ إجراءات واقعية لرصد التطورات في هذه القضية وطرح رؤية شاملة للمواجهة.

(١٦) نوفل المعاوي - مرجع سابق.

(١٣) نوفل المعاوي - مرجع سابق.

(١٤) مقال: السعودية والوهابية وانتشار الفاشية. سابق.

(١٥) حوار مع الشيخ أحمد حسون، العربية نت ١١/٨/٢٠٠٧م.

أولاً: دوائر الانتماء

يُظهر الرسم التالي دوائر الانتماء الطبيعية لأي شخص ينتمي إلى التيارات السلفية، فأولاً هناك دائرة الإسلام العامة، والتي تسع الجميع، ثم دائرة العمل الإسلامي، ومنها تتفرع التيارات السلفية، ثم يأتي الانتماء الأخير الضيق إلى جماعة سلفية معينة.

وبينما ينتهي الشخص بانتمائه إلى جماعة، فإن المعيار الذي يجب اتباعه في تصنيف الأشخاص والتعامل معهم لا بد أن يبدأ بالدائرة الأولى الأوسع، دائرة الإسلام، فهي الأصل ومنها تتفرع بقية الدوائر، ويحدث الخل عندما يصبح الانتماء إلى الدائرة الضيقة هو الأصل، عندها تنقلب المفاهيم، ويصبح الضيق حكماً على الواسع فالأوسع.

في قضية الانتماء ظلت التيارات السلفية ردةً من الزمن تتميز بسهولة الانتماء إليها، لا توجد إجراءات أو ترتيبات، فقط المطلوب هو الالتزام بالكتاب والسنة وتعظيم الأوامر والنواهي، وبخلاف بعض الأوامر الشرعية فإن أغلب التزام المرء يكون بينه وبين ربه، هكذا يصير المرء سلفياً.

كان هذا في الماضي، عندما كان الالتزام يعتمد بالدرجة الأولى على قوة الإرادة لدى المرء، بخلاف الجماعات غير السلفية التي يحتاج الالتزام إليها إلى ترتيبات ومراحل أكثر تعقيداً.

المشكلة الآن أنه مع تنامي الخلافات بين الجماعات السلفية، واتساع نطاقها لتشمل قضايا واقعية، فإن الانتماء إلى جماعة سلفية معينة لم يعد سهلاً، أصبحت هناك قوائم من قضايا عقدية وفقهية

من خلال التأمل في واقع التيارات السلفية يمكن ملاحظة أن الأغلبية تراوح بين المستوى الأول والثاني، مع انتشار ظاهرة «فوضى التحذير»، والتي تتبنى شعار «منذر القوم» دون أن تحمل استيعاباً حقيقياً لما يحدث أو قدرة على المواجهة.

إنه نوع من التحذير الارتياحي الذي ينطلق من الشعور بالخطر، وليس من إدراكه، لذلك غالباً ما نجد في الخطاب السلفي أن صيحات التحذير والنفير يعقبها استدعاء مباشر للنصوص التي تتحدث عن النصر، وإبطال كيد الأعداء، دون أن تتكون لدى المخاطبين رؤية واضحة عما يحدث أو سيحدث.

خطورة «فوضى التحذير» هذه أنها يمكن أن تُنتج أثراً عكسياً، وذلك عندما يستمع الرأي العام السلفي إلى هذه التحذيرات، بينما يعاين واقعاً هادئاً ومناخاً دعوياً إيجابياً، فلا يستطيع أن يجمع بين توازنات المرحلة وبين ما يسمعه من تحذيرات، فيحيل الأمر إلى المبالغة أو يعتمد الأسلوب الشائع في اعتبار أن: الخطر يحق بغيرنا ولن يصل إلينا.

القيد الثاني - الداخلي:

ينصرف جزء كبير من طاقة العمل لدى طائفة من التيارات السلفية في التعامل مع الإشكالات الداخلية، والخلافات البينية، وفي بعض الحالات تتفرغ جماعات بأسرها لمهاجمة وانتقاد جماعات سلفية أخرى.

في هذا الجزء نعالج بعض القضايا التي تمثل قيداً داخلياً يعوق التيارات السلفية عن ممارسة دورها المنوط بها في الأمة.



ثانياً: انعكاسات النشأة الأولى:

كثير من التيارات السلفية سلكت نهجاً تغييرياً متطوراً؛ سعيًا لبذل جهد أكبر في إصلاح المجتمعات التي تنتمي إليها، ولكن تعاني كثير منها مما يمكن تسميته «انعكاسات النشأة السلفية»، ويُقصد بها بعض الصفات والسمات التي تعوق عملية التطور داخل التيار السلفي، وتجعل من عملية التجديد مخاطرة غير مأمونة العواقب.

من هذه السمات الذاتية: أي تمحور الشخص حول نفسه، وطموحه الشخصي، حتى عندما يفكر في قضايا الدعوة فإن تفكيره يبدأ من حيث هو كشخص، وليس انطلاقاً من الجماعة التي ينتمي إليها..

ومنها: ضعف الأطر الفكرية والتنظيمية: والتي تفسح للذاتية مجالاً رحباً، وعندما تتعدد الذات المتنامية داخل الجماعة فإنها تصطرع مع نفسها، وتتشغل عن دعوتها بحل إشكالاتها الداخلية، أيضاً فإن ضعف الأطر يُضعف الانتماء إلى التيار أو الجماعة، فتسهل عملية التحولات والانتقالات البينية، ويصبح الأتباع عرضة لأي أفكار خارجية بدون حصانة.

ومنها: نمط الشيخ والأتباع: والذي يبقى مسيطراً على الثقافة التنظيمية للتيار، ويجعل من العسير القبول بقيادة جماعية، أو قيادة متغيرة، كما أنه يرهن ثبات الأتباع بصلتهم المباشرة بالشيخ أو الزعيم، فإذا ضعفت هذه الصلة يحدث التفرق.

هذه الانعكاسات السلبية تجعل تحول بعض التجمعات السلفية إلى ممارسة العمل الجماعي عملاً بالغ الصعوبة، ويحتاج إلى عناية فائقة وتدرج وحكمة وخبرة عالية.

ثالثاً: الثوابت والمتغيرات:

من أبرز إيجابيات التيارات السلفية قوة تمسكها بالثوابت، مهما تزايدت الضغوط، لكن هذه الإيجابية أفرزت - عند كثيرين منهم - بعض السلبيات، منها: التوسع في توصيف الثوابت، بحيث تضمنت القائمة

يجب على المنتمي إلى إحدى الجماعات أن يتعلمها ليُقبل انتماءه، وفي كثير من الأحيان تتراجع القضايا العلمية الشرعية الأساسية التي يجب أن يتعلمها المسلم، وتحتل مكانها قضايا أخرى خلافية، أصبحت عنواناً لتمييز جماعة سلفية عن أخرى، قضايا مثل: ما رأيك في الحاكمية؟ ماذا تقول في الرئيس؟ ما حكمك على سيد قطب؟ ما هو رأيك في الإخوان؟ هل يكفر؟ هل يكفر؟ لا يكفر؟ إلخ ..

نشأت عن هذه المشكلة سلبية أخرى، وهي أن الجهد العلمي المطلوب بذله مع الأتباع الجدد أصبح مضاعفاً، وبالتالي أصبحت بعض الجماعات السلفية تبحث عن أتباع لديهم جاهزية مسبقة، أي أتباع الجماعات الأخرى، وهنا برزت ما يمكن أن نسميها «ظاهرة الانتشار العرضي»، أي انتشار الجماعات السلفية دون أن يترتب على ذلك أي تأثير في المجتمع، فقط تحولات داخلية لا تحدث فارقاً أو إنجازاً دعوياً يُذكر.

المؤسف أن هذه القضايا العلمية محل الخلاف بين الجماعات السلفية هي في غالبيتها مجرد انعكاس لخلافات أخرى حركية أو أمنية أو حتى شخصية - على الزعامة والتصدر كمثال - بحيث يمكن افتراض أن هذه الخلافات الأصلية لو لم توجد، لكان ممكناً تجاوز كثير من الخلافات العلمية المشار إلى بعضها.

هذه الوضعية البائسة جعلت الخلاف علامة مسجلة لبعض التيارات السلفية، وكما يقول مراد هوفمان: «وهذا الاختلاف والتشردم أصبح علامة مسجلة للمسلمين، حتى في أوروبا والولايات المتحدة، فأصبحت مهمة أعداء الإسلام يسيرة جداً»^(١٧).

مع ذلك يمكن القول: إن بعض جماعات السلفية الدعوية تمتلك أسساً فكرية وتنظيمية تجعل أتباعها أكثر حصانة وثباتاً في انتماءاتهم من جهة، كما تجعلها منصرفة إلى أهداف أكثر سموً من انتقاد الجماعات الأخرى والظعن فيها.

(١٧) مراد هوفمان - مرجع سابق.

يتغير مكانهم ومكانتهم في الدعوة أو التيار، وربما يغيرون هم أنفسهم من اجتهاداتهم، بينما يظل المنهج أسير فتاواهم القديمة.

يجب أن يظل المنهج منهجاً، والفتوى كما هي، من سمات المنهج أنه لا يتغير بل يبقى ثابتاً مستقراً، أما الفتوى فالتغير أمر وارد بحقها مع تغير الظروف والأحوال.

بعض الجماعات تتبع أسلوباً انتقائياً في تجميع بعض الفتاوى أو إصدارها، وفي نهاية الأمر تتحول هذه الفتاوى إلى منهج دعوي يعبر عن القناعات الشخصية للشيخ الزعيم الذي أصدرها أو انتقاها، أكثر مما يعبر عن منهج حقيقي واضح ومتكامل.

ولذلك نجد أن كثيراً من التيارات السلفية بدأت مسيرتها متقيدة بمرجعيات علمية بارزة، ومنطلقة من اجتهاداتها، ولكن مع مرور الوقت وتراكم الفتاوى الانتقائية لم يعد ممكناً التقيد بمرجعية العلماء، وتحول زعيم الحركة ليصبح مرشداً ومفتياً ومجتهداً لها.

خامساً: أزمة القيادة الدعوية والعلمية:

تعتبر التيارات السلفية - بسبب الاختصاص - معين العلوم الشرعية في الأمة، والحافظ الأول لشرايع الإسلام.

ولا شك أن العناية الفائقة من قبل التيارات السلفية بالعلوم الشرعية تدريساً وتعليماً وتأليفاً عقوداً طويلة، أفرزت علماء ومتخصصين في الدراسات الشرعية، لكن كان المتوقع أن تُخرج هذه النشاطات العلمية المكثفة أجيالاً من العلماء - القادة - المؤهلين لقيادة الأمة وتوجيهها، ولكن بدلاً من ذلك أصبحت التيارات السلفية في كثير من الدول الإسلامية تعاني هي نفسها من أزمة مرجعية علمية، ويفتقد كثير منها إلى علماء بارزين يقودون الحركة أو التيار، ويشرفون على عملية التعلم والتعليم بداخله.

وحتى الكفاءات العلمية الموجودة في بعض الحركات لم تستطع أن تطور خطاباً عاماً يتلاءم مع حاجة المجتمع، بل ظلت قابعة في إطار جماعتها مكثفة

عدداً من القضايا الاجتهادية المنهجية والدعوية.

والأصل أن مسيرة الدعوة من خلال جماعة أو تيار لها مراحل متعددة، فهناك مرحلة التأسيس، ثم مرحلة الانتشار واختبار الأفكار والمعطيات، ثم مرحلة التدعيم والتثبيت، ثم مرحلة الحصاد، وقد تمر الجماعات بهذه المراحل كلها أو بعضها أو غيرها، ولكن المهم هنا أنه منذ مرحلة التأسيس، تحتاج الجماعة في كل مرحلة تالية إلى مراجعة اجتهاداتها ومتغيراتها، ومن ثم وتجديدها أو استبدالها، لكن بتأثير صفة التمسك - الحميدة -؛ ونتيجة للخلط بين ثوابت المنهج والدين، وبين ثوابت المرحلة التي تتغير مع تغيرها، فإنه ينشأ داخل الجماعة تياران متناقضان، الأول يَعْضُّ بالنواجذ على ما يعتبره من ثوابت المنهج، والثاني، يطالب بالتجديد وتطوير ما كان مؤقتاً متغيراً بطبيعته، مثل: الموقف من بعض الجماعات أو الشخصيات، أساليب الدعوة والعمل الاجتهادية، بعض أشكال العمل التنظيمي والجماعي، أسلوب التعامل مع الخصوم والأعداء، مفردات الخطاب الدعوي.. إلخ.

هذا التناقض يمكن أن يتطور ليصل مستوى الانشقاق أو الانفصال في بعض الأحيان، وبذلك يُقضى على الجماعة الأصلية أن تظل تراوح في مكانها لا تفارق مرحلتها الأولى أبداً؛ لأنها باتت تعتبرها من الثوابت.

من توابع هذه الأزمة، أن الحركة تفقد مع مرور الوقت الكفاءات الفكرية والدعوية التي تمتلك القدرة على التجديد والنهوض بالعمل الدعوي، فتصبح فترة بقاء هؤلاء داخل إطار التيار قصيرة نسبياً، ومن ثم يفسح المجال لأشخاص آخرين، هم أقل كفاءة وقدرة على إدارة العمل الدعوي.

رابعاً: تداخل المنهج الدعوي مع الفتاوى الشرعية:

يجب التفرقة بين المنهج الدعوي وبين الفتاوى الشرعية، فلا يسوغ تجميع بعض الفتاوى الشرعية وتنسيقها في باقة واحدة، ثم إضافتها إلى المنهج ليصبح أسيراً لاجتهادات بعض الأشخاص، الذين ربما

أولاً: التنظيم:

هناك قناعات متفاوتة بشأن قضية ممارسة العمل الجماعي داخل التيارات السلفية، بعض الجماعات ترفض ذلك تماماً، والنتيجة الطبيعية هي التشتت والفردية، ولكن بالنسبة لجماعات السلفية الدعوية، فقد قطعت شوطاً لا بأس في هذا المسار، لكن المشكلة أن الثقافة السلفية التنظيمية تعاني - أحياناً كثيرة - من قصر النفس، فقد أدرك الملل بعضاً من المنظرين والدعاة من أعباء العمل الجماعي وتداعياته، فنشأت دعوة معاكسة تطالب بتحول الجماعات إلى تيار من جديد، أي إلى العمل الدعوي السائب.

هذه الدعوة رغم بريقها إلا أنها تعتبر تطوراً إلى الخلف، فلن يلبث هؤلاء أن تتراكم عليهم الأعمال والأعباء في ظل الأوضاع السائبة، لينادوا مرة أخرى - هم أو تلامذتهم من بعدهم - بضرورة ممارسة العمل الجماعي. المهم أن مسار «التنظيم» سوف تتوزع عليه التيارات السلفية في كلا اتجاهيه.

هذا مع الإقرار بأن العمل الجماعي لا يخلو بدوره من سلبيات، لذلك فالتوسط هدف منشود، والأمور تقدر بقدرها، وما يصلح في بلد قد لا يصلح في غيره، وما يصلح لجماعة قد لا يصلح لغيرها.

ثانياً: مسار الجهاد:

سبق أن تناولنا هذا المسار، والمحصلة أن غالبية التيارات السلفية ترفض ممارسة العمل الجهادي داخل الدول التي تعيش فيها، كما يتحفظ كثير منها على إرسال الأتباع إلى مناطق الجهاد الساخنة، وتقر غالبية هذه الحركات في نفس الوقت بضرورة الجهاد في حال تعرضت دولهم للغزو والاحتلال، كما تقر بضرورة الدعم المادي والمعنوي للحركات الجهادية المتزنة في الدول الإسلامية المحتلة، وما يحدث من تطوع للجهاد في بعض الدول مثل العراق، فهي حالات فردية لم تصل إلى الدعوة الرسمية.

إن السلفيين مدعوون إلى ممارسة التفكير كجماعات وليس كأفراد داخل جماعات.

قناعة باتباعها، عاجزة عن الوصول إلى الناس فضلاً عن قيادتهم.

سادساً: بين المثالية والدخن:

من أقوال السلف: «من طلب أخاً بلا عيب، صار بلا أخ»، وكذلك، فإنه من طلب جماعة بلا عيب، صار بلا جماعة، ومن طلب تياراً أو تجمعاً بلا عيب صار لوحده، وهذا من العيب في حد ذاته، والمطلوب أن ننمي فقه التعامل مع الدخن في مناهج الجماعات والتيارات، وفي أفكارها وأدائها وخطابها، وأن نفرق بين الرفض الذاتي للدخن، وبين القبول العام لمن يقع في هذا الدخن، وأن نفرق بين تقويم الجماعة ذات الدخن كتجربة، وبين تقويمها لأجل إصلاحها، وقبل هذا كله يجب أن نطرح على أنفسنا تساؤلاً مهماً: ما هو الدخن الذي وقعنا فيه؟ فلا يُعقل أن يطال الدخن كل أحد إلا نحن؟

إن من ضرورات المرحلة أن نضع الأخطاء في إطارها العلمي المتوازن، وأن يدير السلفيون حواراً جاداً ومنصفاً، يجمع ولا يفرق.

خيارات المستقبل:

لا يمكن - بإذن الله - أن تنجح محاصرة التيارات السلفية إلى درجة القضاء عليها أو تصفيتها، لسبب بسيط، وهو طبيعة نشأتها، فإلى الآن لا يستطيع أحد أن يحصر نشأة التيارات السلفية في شخص معين أو رمز محدد، يمكن أن تنشأ السلفية في أي بقعة من الأرض، وعلى يد أي شخص على النحو الذي ذكرناه سابقاً.

ما سوى ذلك يبقى أمام التيارات السلفية أربعة مسارات، يمكن أن تسلك أي جماعة أي مسار منها كلياً أو جزئياً، ويمكن تسمية هذه المسارات على النحو التالي:

التنظيم - الجهاد - الدولة - المستقبل السلفية الدعوية.

الاتجاهين، لكن المؤشرات الحالية ترجّح توجه عدد كبير من التجمعات السلفية في اتجاه التصالح مع الدولة.

ويدعم هذا التوجه أنه في كثير من هذه الدول ذات الطابع العلماني، تبرز الحاجة إلى وجود التيارات السلفية كمُكوّن رئيس في معادلات التوازن داخل التيارات الإسلامية عمومًا، ولذلك نجد في بلد ما تضييقًا وحصارًا لجماعة الإخوان المسلمين، بينما يُفسح المجال لرموز سلفية كي تخاطب المجتمع بحرية عن طريق الإعلام.

والخطورة هنا أن معادلات التوازن هذه عرضة للتغير تحت أي ظرف أو حدث مفاجئ، كما أن التيارات السلفية في أغلب الدول العلمانية غالبًا ما يكون مستوى انتشارها وتماسكها محدودًا من الناحيتين العددية والتنظيمية، ما يجعلها أكثر قابلية للاحتواء أو تقليص النشاط؛ إذ تصبح ممارسة الضغوط في هذه الحالة ذات تأثير واضح.

لعل من أبرز نتائج هذه الضغوط بروز شريحة السلفيين المستقلين، وبعضهم طلب الاستقلال للتخفيف من أعباء وعواقب العمل الجماعي، وبعضهم عجزت جماعته عن استيعاب طاقاته الفكرية والحركية فأثر العمل مستقلاً.

في جميع الأحوال، فإن شريحة المستقلين السلفيين، وإن كانت تحمل بعض الإيجابيات بلا شك، إلا أنها تساهم بصورة غير مباشرة في تعميق الخلاف؛ نتيجة تزايد عدد الذين يحملون باقات خاصة من الأفكار والمواقف والتقويمات والآراء حول كل شيء يتعلق بالعمل الإسلامي، مما يعني مزيدًا من التشظي والفسيفسائية.

رابعًا: المستقبل للسلفية الدعوية:

لم تكن السلفية في بداياتها الأولى في التاريخ المعاصر سلفية ساكنة، أو مجرد حركة علمية تتركز في المساجد، وينحصر جل نشاطها في الدروس والخطب، بل كانت حركات تغييرية إصلاحية تهدف إلى الرجوع بالمجتمع إلى الإسلام الحنيف من

في نفس الوقت فإن السلفيين مدعوون إلى ممارسة التفكير كجماعات، وليس كأفراد داخل جماعات، هناك فرق كبير بين التفكير الجماعي والتفكير الفردي، عندما ينتمي الشخص إلى جماعة أو تيار معين، فأول ما عليه فهمه أن هذا الانتماء يجعل مصلحة التيار مقدمة على مصالحه وعلى رغباته، وأن أفعاله ستلحق عواقبها بالجماعة التي ينتسب إليها، وقد يصدر عن شخص واحد تصرف مغامر يوقع الحركة بأسرها في أزمة شاقة.

لن ترسخ هذه الثقافة الجماعية إلا بترسيخ البناءين: الفكري والتنظيمي داخل التيارات السلفية.

أما بالنسبة لتيارات السلفية الجهادية، فإن المشاهد تحول عدد منها إلى السلفية الدعوية أو العلمية، والمتوقع أن تستمر هذه التحولات في الفترة القادمة، وإن كان شكل العلاقة بين المتحولين الجدد والجماعات الأخرى لا يزال يكتنفه الغموض، وإن كانت الاحتكاكات داخل المعتقلات في بعض الدول، خاصة في شمال إفريقيا، أتاحت تبادل الخبرات والأفكار بين هؤلاء المتحولين وبعض الرموز السلفية، هذا التبادل الفكري يُتوقع أن يكون له تأثير على أداء الجماعات السلفية في المرحلة القادمة، أقله في مجال تدعيم الأسس الفكرية والتنظيمية، كما يُنتظر أن يُكسب التيارات السلفية مرونة وحنكة متزايدة في التعامل مع خصومها الطبيعيين.

ثالثًا: الدولة:

قضية تكفير الأنظمة في الدول العلمانية، مسألة خلافية داخل التيارات السلفية، إلا أنها تأخذ في مناحي الخلاف أكبر من حجمها الطبيعي؛ إذ تتفق أغلب التيارات السلفية على التعاطي مع الدولة وأجهزتها من الناحية العملية في العموم، حتى من قبل من يكفرونها.

وداخل هذه الدول العلمانية تتوزع تيارات وتجمعات سلفية في المسافة بين تكفير الأنظمة العلمانية وبين موالاتها، وهذا الانتشار الخطي يرفع من احتمالات حدوث تحولات وانتقالات على هذا المسار في كلا

من الإنجازات على مستوى الأمة الإسلامية، والذي نعتقده أن السلفية الدعوية ممثلة في بعض فصائلها تسير على ذات النهج لتصل القديم بجديده، وإن المخالفين لها مطالبون بالدليل على انحرافهم عن نهج مؤسسي التيارات السلفية الأوائل.

من خلال هذه الحقيقة، وما سبق عرضه تبرز النتائج التالية:

١- فيما يتعلق بالعلاقة بين الاتجاهات السلفية الثلاثة (الدعوية، والعلمية، والجهادية المنضبطة) من الواضح أنه يوجد فرق كبير بين ما يجب أن يكون، وما هو كائن بالفعل.

٢- السلفية الدعوية تعدّ بمثابة النهج الوسط بين مختلف التيارات السلفية، وهي أقدرها -بإذن الله- على البقاء والتكيف والمواجهة.

٣- مشكلة بعض تيارات السلفية العلمية أنها في حال لم تتطور إلى السلفية الدعوية فهي مهددة بالانزلاق إلى احتمالات متعددة: منها الجمود وتضائل الأثر الجماهيري، ومنها تحولها إلى مسوغ ومبرر لإضعاف النهج السلفي بصفة عامة، ومنها تحولها إلى مسلك المهادنة على طول الخط، ومنها تحول بعض أبنائها إلى السلفية الجهادية، وفي بعض الحالات فإن هذا التيار سيُقي السلفية الدعوية خصماً تجب مواجهته.

٤- أثبتت تجارب السلفية الجهادية في الفترة الأخيرة أن هناك جوانب كثيرة من الخطأ والتجاوز الشرعي والسياسي طالت العمل الجهادي، وعندما يبحث هذا التيار عن مرفأ يُؤمّن له العودة السالمة إلى بر الأمان السلفي فلن يجد خيراً من السلفية الدعوية.

٥- السلفية الدعوية هي نمط تجديدي يتجاوز عقبة الجمود ويقف في وجه عقبة التميع، كما أنها من ناحية أخرى تتجاوز عقبة القعود دون أن تتورط في ممارسات مشتبهة شرعاً، ولذلك فهي تكتسب،

خلال عمل علمي ودعوي جديدين وشاملين؛ لذا فإن العودة بهذه التيارات السلفية إلى ماضيها الأول هي عودة إلى الأصول، والركون بهذه الحركة التغييرية في نطاقات محدودة هو خروج عن الأصل، وإذا كانت السلفية في محورها الرئيس هي دعوة للعودة إلى الأصول، فيمكن أن نعتبر السلفية الدعوية بهذا المفهوم: دعوة سلفية مزدوجة.

قدمت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثلاً حياً على ذلك، فهي لم تكن أبداً مجرد دعوة علمية ساكنة، وفي المغرب العربي حدث الشيء نفسه، يقول عبد الإله بلقزيز: «لم يكن مستغرباً أن تصبح السلفية هي أيديولوجيا الحركة الوطنية، كما في حالة المغرب العربي إبان حقبة الاحتلال الاستعماري... خرجت الحركة الوطنية المغربية من رحم الحركة السلفية، وبتأثير رموزها الكبار، كما خرجت الحركة الوطنية الجزائرية من رحم سلفية عبد الحميد بن باديس وجمعية علماء المسلمين»^(١٨).

بل إن التيارات السلفية سيطرت تقريباً على مجريات الأحداث سنوات طويلة في عدد من الدول العربية في

القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وتبادلت التأثيرات فيما بينها، يقول بلقزيز: «الحقيقة تقتضينا القول المنصف: أن الإصلاحية الإسلامية في القرن التاسع عشر، ما أحرزت ذلك الذي أحرزته من نجاح في هذا الباب؛ إلا على قاعدة تراث السلفيات الطرفية السابقة لها، التي

انبعثت في نجد والسودان وليبيا منذ القرن الثامن عشر، فأعطت حركات الوهابية والمهدية والسنوسية بوصفها حركات سلفية توحيدية، انصرفت إلى مقاومة البدع، وإلى إعادة تثبيت فكرة التوحيد الإسلامية في مقابل هيمنة الطقوس الوثنية»^(١٩).

إن تاريخ السلفية القديم مشرّف، ويحمل قدراً كبيراً

(١٨) عبد الإله بلقزيز، كتاب: الإسلام والسياسة، دور الحركة الإسلامية في صوغ المجال السياسي... ص ١٨٠.

(١٩) المرجع السابق ص ١٨١.

المستوى المقبول، وخاصة بالنسبة للتجمعات المتحولة عن السلفية العلمية؛ حيث لا يزال بعضها يعاني من ضعف البنائين الفكري والجماعي، بما يسمح - أحياناً - لشخصية الرمز الأسيرة أن تفرض سيطرتها وتطرح علامات غموض حول مستقبل الحركة بعد غيابه.

رابعاً: أطر عامة لجماعات السلفية الدعوية:

يجب البحث عن أطر عملية تجمع التجمعات السلفية الدعوية في سياق واحد ومتقارب، وقد يكون ذلك عن طريق تنفيذ مشروعات دعوية مشتركة شريطة أن تكون مؤقتة وليست مستمرة، حتى لا تتحول هذه المشروعات بدورها إلى مواطن خلاف لا اتفاق، ويمكن أيضاً العمل على نشر وترسيخ ثقافة التعاون، والتنسيق بين التجمعات الدعوية من خلال نشر أدبيات تتناول هذه القضية بصور متعددة.

ويلاحظ هنا أن اقتراحات إنشاء هيئة أو رابطة أو منظمة تجمع الرموز السلفية الدعوية تصبح غير ذي تأثير بخلاف معناها اللغوي، طالما ظل القائمون عليها أو مؤسسوها ينتمون إلى جماعة أو تيار ما، فلا يمكن تجاوز العوائق الراسخة بين التجمعات السلفية ما بين يوم وليلة أو بإجراء سريع.

إن الأمر يحتاج إلى استراتيجية متكاملة متدرجة، تبدأ بنشر ثقافة التعاون والتنسيق، وتشتي بإقامة تلك المشروعات المشتركة، وإن انتهى الأمر بتكوين هيئة تجمع أهل الحل والعقد في التيارات السلفية داخل كل بلد، لكان ذلك إنجازاً عظيماً.

خامساً: تعميق التواصل مع الجماعات الإسلامية السياسية:

الأصل أن كلا التيارين السلفي والسياسي ينتمي إلى دائرة العمل الإسلامي، وبذلك يصطفان في نفس الخندق في مواجهة نفس الأعداء، فلا يُعقل أن يُستدرج أيّ منهما لمواجهات جانبية، فضلاً عن ترك التعاون والتنسيق فيما بينهما.

والمطلوب من التيارات السلفية الدعوية أن تعمق تواصلها مع هذه الجماعات؛ لأن هذا الوجود المزدوج

بوضعها المتوازن قدرة أكبر على البقاء والانتشار والتأثير، دون أن تُتَّهم بمهادنة أو تهوؤ.

هذه النتائج الإيجابية لا تمنع من وجود جوانب من الخلل في أداء جماعات السلفية الدعوية، وفي الجزء الأخير من الدراسة نعرض لأهم الجوانب التي تحتاج إلى تغيير أو تجديد.

أولاً: الأسلمة وليس إقامة الدولة:

تحمل التيارات السلفية والإسلامية عموماً في الدول العلمانية حلم إقامة الدولة الإسلامية، إلا أن التجارب الماضية تكشف عن كون هذا الحلم أو الهدف عسير المنال، ويحتاج إلى مراحل متتالية من الجهد والعمل المتواصل؛ ولأن الهدف هو المعيار الأول لقياس أداء الجماعة والتيار، فإن التمسك به في الفترة الحالية لن يسفر إلا عن مزيد من الإحباط والتخبط، لذا فمن المقترح أن يرفع في هذه المرحلة هدف آخر، هو: أسلمة المجتمع، أي السعي لإعادة جميع جوانب الحياة والأنشطة الاجتماعية إلى جادة الإسلام.

هذا الهدف يتميز بكونه قابلاً للتقسيم والقياس والتنفيذ في التو واللحظة؛ إذ كل عمل مهما كان بسيطاً يمكن أن يُدرج بسهولة في خانة أسلمة المجتمع، بذلك يمكن قياس وتقويم العمل من ناحية، ومن ناحية أخرى يمكن استغلال جميع الطاقات داخل الجماعة دون هدر شيء منها.

ثانياً: التجديد الذاتي:

تحتاج السلفية الدعوية إلى إعادة تطوير وتجديد، بما يتناسب مع مستجدات الواقع، وهذا لن يتأتى إلا بقدرة الحركة على استيعاب الطاقات الفكرية بداخلها، والسماح بقدر من تبادل الآراء والنقاش حول القضايا المحورية، والحذر من تقديس وتكديس المتغيرات والأشخاص وتحويلها إلى ثوابت راسخة.

ثالثاً: تقوية البنائين الفكري والتنظيمي:

لا تزال هناك حاجة لتقوية هذين البنائين؛ للتغلب على ارتباط التجمعات السلفية بالأشخاص والرموز فوق

لهما يحقق نوعاً من التوازن الذي يشتمل الجهود الغربية في احتواء العمل الإسلامي، يقول عبد السلام مغراوي في دراسته السابق الإشارة إليها: «.. فكيف يمكن للولايات المتحدة أن تدعم العناصر الإسلامية المعتدلة ضد التيار السلفي، عندما يكون كل تنظيم سياسي إسلامي، سواء متطرف أم معتدل تحت رقابة شرسة ومقيدة من الحكومات العربية المحلية، ومن جانب الحكومة الأمريكية في بعض الأحيان؟»^(٢٠)

وعندما تنزلق بعض التيارات إلى مواجهة تيار إسلامي آخر، تكون الخسائر كبيرة على الجانبين، يقول نوفل المعايي عن حركة النهضة: «أطلقت الجماعة العنان لتهجمات نارية على التيار السلفي المتنامي في تونس، والذي صُوِّر في شكل غول متنام يأكل الأخضر واليابس، أو بتعبير أحد المواقع الإلكترونية المقربة من نهضة المهجر: ينتشر كالنار في الهشيم»^(٢١)

وأسرف بعض قادة النهضة في مهاجمة السلفيين، حتى بدا وكأنه يعاني من حالة غيرة من هذا التيار، يقول محمد بن سالم عضو المكتب السياسي للحركة: «ويحدث اليوم في تونس أن من ترتدي الخمار مقموعة ممنوعة، أما التي ترتدي النقاب فمسموح لها بالدخول والخروج بدون مشاكل، حتى تعطي الصورة الكريهة للإسلام وللإسلاميين بشكل عام»^(٢٢)

سادساً: تدوين المنهج الدعوي:

تعاني التيارات السلفية الدعوية عموماً من اعتمادها على انتقاعات منشورة للتعبير عن منهجها، وتفتقر إلى مدونات منسوبة إليها مباشرة، تعبر بوضوح عن هذا المنهج، كما أنها تفتقر إلى الإصدارات التي تتناول التجارب التاريخية لها في العقود الماضية، مثل المذكرات أو كتب التأريخ للدعوة، وهذه الأدبيات مطلوبة، ولا يمكن الاستغناء عنها؛ لترسيخ المنهج وتثبيت الأتباع.

(٢٠) هل تدعم أمريكا تجديد الإسلام؟ مرجع سابق.

(٢١) نوفل المعايي - مرجع سابق.

(٢٢) السابق.



معلومات إضافية

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ = ١٧٠٣ - ١٧٩٢ م)

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، شيخ الدعوة التجديدية السلفية الذي تنسب إليه (الوهابية)، بشبه الجزيرة العربية.

مولده ونشأته:

ولد في «العيينة» - بنجد سنة ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م، ونشأ في بيئة علم وصلاح واستقامة، فكان أبوه وجده وكثيرون من أفراد أسرته من العلماء والوجهاء، ولهم باع في الفتيا والقضاء والتدريس، مما ساعد هذا الناشئ على استغلال مواهبه الفذة، وتوجيهها على منهج شرعي متين وأصيل وفي جو علمي مأمون. ولم يدخل الكتاتيب بل درس على والده القرآن واللغة، واستظهر كثيراً من الأحاديث. حتى بات وهو دون العشرين عالماً مقصوداً.

دعوته:

رحل الشيخ محمد إلى الحجاز والبصرة، ثم زار مكة، فأدى فيها فريضة الحج، ثم قصد المدينة، وهناك لازم، فترة، العالم ابن سيف، ثم استقر بنجد في «حريملاء»؛ حيث كان والده قاضياً. ومنها انتقل إلى مسقط رأسه «العيينة» داعياً إلى مذهب السلف - مدرسة أهل الحديث - مركزاً دعوته على تطهير عقيدة التوحيد مما شابها من تصورات وبدع وأوهام.

وبعد حقبة التعاون مع أمير «العيينة» - عثمان بن حمد بن معمر - تخلص الأمير عن دعوة الشيخ، فغادرها إلى «الدرعية»؛ حيث تحالف مع أميرها محمد بن سعود، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الدعوة السلفية مذهب الدولة السعودية، فوضع الأمير محمد بن سعود قوة إمارته في خدمة الدعوة، وخاض المعارك ضد القبائل الرافضة لها.

وكان ابن عبد الوهاب رجل الدعوة، بل وفي طليعة جيش الإمارة، التي اتسعت حدودها فشملت الجزيرة، وأجزاء من اليمن ومكة والمدينة والحجاز.

ولقد استمر أمراء آل سعود - عبد العزيز بن محمد، وسعود بن عبد العزيز - في دعم الشيخ ابن عبد الوهاب، والعمل على نشر دعوته.

آراؤه واتجاهاته:

يُعدّ محمد بن عبد الوهاب أهم من انتقل بالتجديد الإسلامي، في العصر الحديث، من إطار التجديد الفردي والمشروع الفكري إلى إطار «الدعوة» التي اتخذت لها دولة تحميها وتقاتل في سبيل نشرها، الأمر الذي جعل لدعوته التأثير والاستمرارية ما لم تحظ بهما دعوات تجديدية أخرى.





ولقد كان تجديد الشيخ ابن عبد الوهاب واجتهاده اختياراً في إطار المذهب الحنبلي، واستدعاء لنصوص ومقولات أعلامه، وخاصة مؤسس المذهب الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ = ٧٨٠ - ٨٥٥م)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨م). وكان اجتهاد اختيارات في إطار المذهب، استدعى النصوص والمقولات التي تنقي عقيدة التوحيد مما ران عليها وشابها من مظاهر الشرك والبدع والخرافات، على النحو الذي ناسب بيئة نجد ومشكلاتها في ذلك التاريخ.

وليس لمحمد بن عبد الوهاب دعوة خاصة، بل هي دعوة الإسلام الحق، ومنهجه هو منهج الإسلام. يقول: «إني - ولله الحمد - متبع ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين به هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة».

مؤلفاته:

ترك الشيخ محمد بن عبد الوهاب العديد من الكتب والرسائل التي عالج فيها المشكلات التي اهتمت بها دعوته التجديدية الإصلاحية، منها:

(كتاب التوحيد) و(كشف الشبهات) و(تفسير سورة الفاتحة) و(أصول الإيمان) و(تفسير شهادة أن لا إله إلا الله) و(معرفة العبد ربه ودينه ونبيه) و(المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية). وفيها أكثر من مائة مسألة - و(فضل الإسلام) و(نصيحة المسلمين) و(معنى الكلمة الطيبة) و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) و(مجموعة خطب) و(مفيد المستفيد) و(رسالة في أن التقليد جائز لا واجب) و(كتاب الكبائر). وحتى عناوين هذه الرسائل تُفصّل عن مضامينها، التي ركزت على تنقية عقيدة التوحيد، والعودة فيها إلى التصور الإسلامي النقي، الذي رُسّخته المدرسة السلفية في تراث الإسلام.

وفاته:

توفي ابن عبد الوهاب إثر مرض في آخر يوم في ذي العقدة ١٢٠٦ هجرية الموافق ٢٩ حزيران ١٧٩٢ ميلادية.

المصادر:

«د. محمد أمين فرشوخ، موسوعة «عابرة الإسلام في العلم والفكر والأدب والقيادة

دار الفكر العربي للطباعة والنشر، الجزء الأول، ٦٩٩١م.

د. محمد عمارة، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي، وزارة الأوقاف المصرية.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ٨٢٤١هـ - ٧٠٠٢م.

د. ناصر عبد الكريم العقل، إسلامية لا وهابية، وهو ملخص عن كتاب بعنوان (دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب - حقيقتها

ورد الشبهات حولها) مقدم إلى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.





(الوهابية):

إطلاق اسم (الوهابية) على الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب انطلق أولاً من الخصوم، وكانوا يطلقونه على سبيل التنفير واللمز والتعيير، ويزعمون أنه مذهب مبتدع في الإسلام أو مذهب خامس.

ولم يكن استعمال (الوهابية) مرضياً ولا شائعاً عند أصحاب هذه الحركة وأتباعهم، ولا عند سائر السلفيين أهل السنة والجماعة، وكان كثير من المنصفين من غيرهم والمحايد يتفادى إطلاق هذه التسمية عليهم؛ لأنهم يعلمون أن وصفهم بالوهابية كان في ابتدائه وصفاً عدوانياً إنما يقصد به التشويه والتنفير وحجب الحقيقة عن الآخرين، والحيلولة بين هذه الدعوة المباركة وبين بقية المسلمين من العوام والجهلة وأتباع الفرق والطرق، بل وتضليل العلماء والمفكرين الذين لم يعرفوا حقيقة هذه الدعوة وواقعها.

ولقد صار لقب (الوهابية) وتسمية الحركة الإصلاحية السلفية الحديثة به هو السائد لدى الآخرين من الخصوم وبعض الأتباع والمؤيدين المحايدين (تنزلاً). وهو الوصف الرائج عند الكثيرين من الكتاب والمفكرين والمؤرخين والساسة، والمؤسسات العلمية، ووسائل الإعلام إلى يومنا هذا.

أما أتباع هذه الحركة فهم لا يرون صواب هذه التسمية (الوهابية)، ولا ما انطوت عليه من مغالطات وأوهام، لاعتبارات مقنعة كثيرة؛ شرعية وعلمية ومنهجية وموضوعية وواقعية، أهمها أنها دعوة تمثل تماماً الإسلام الحق الذي جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- ومنهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن سلك سبيل الهدى، وإذن فحصرها تحت مسمى غير الإسلام والسنة خطأ فادح وبدعة محدثة ومردودة.

(الوهابية) من مفهوم غربي:

الوهابية عند السياسيين والكتاب الغربيين هي وصف لكل أخذٍ لدين الإسلام مأخذ الجد؛ حتى لو كان الآخذ إنساناً لم يقرأ للشيخ ابن عبد الوهاب حرفاً واحداً، ولم يتسمَّ باسمه ولا كان موافقاً له في بعض ما قال؛ بل إنها وصف لكل من يأخذ بجذ بعض ما أجمع عليه المسلمون حتى لو كان ممارساً لبعض البدع، أو مؤمناً ببعض الخرافات.

والوهابية عند هؤلاء مرادفة للأصولية التي هي الإيمان بأن القرآن كله كلام الله تعالى، وأن الالتزام به واجب على كل مسلم. الوهابي هو المسلم الذي يواظب على الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويؤدي الزكاة، ويحج إن استطاع إلى بيت الله الحرام. إنه المسلم الذي لا يشرب خمرًا ولا يتناول ربا، ولا يرى اختلاط الرجال بالنساء، ولا يؤمن بقيم الحضارة الغربية المخالفة للإسلام. المسلم الوهابي هو الذي يرى أن دينه هو الحق وأنه يحثه على دعوة الناس إلى الإسلام. الوهابي باختصار هو كل مسلم يحاول الالتزام بتعاليم دينه حتى لو كان يعيش في البلاد الغربية.

المصادر:

د. ناصر عبد الكريم العقل، إسلامية لا وهابية، مرجع سابق

د. جعفر شيخ إدريس، المفهوم الغربي للوهابية، مجلة البيان، العدد ١٩١، رجب ١٤٢٤هـ.



